هكذا مات همنغواي

بقلم آرون هوتشنر
ترجمة ابراهيم وطفي

لا شك ان « المصير » الذي يخباره كل اديب او فنان هو ملمح هام من ملامح نراثه . وواحد من الاجوبة الاساسية التي واجه بها قضايا الوجود الانساني ومشكلاته .

واليوم تحاول « الاداب » ان تلقي ضوءا على الضباب الذي اكتنف رحيل الكاتب الكبير ارنست همنغواي ، فنشر الفصل الاول من كتاب الصحفي الاميركي أرون ي. هوتشنر الذي كان طوال اربعة عشر عاما اقرب واخلص صديق لهمنغواي . والكتاب اسمه « بابا همنغواي » . وفي هذا الفصل يتحدث عن الاشهر الاخيرة من حياة الكاتب .

ولم يخل صدور هذا الكتاب من صعوبات . اذ ان زوجة همنغواي الاخيرة ماري ، اقامت الدعوى على الصحفي قائلة : « ان هوتشنر يستولي على حياتي الخاصة بشكل وقح . » .. حتى تلك اللحظة ، كانت ماري همنغواي تصر على ان زوجها قد مات بحادث عارض يوم ٢ تموز ١٩٦١ . لكن هوتشنر عرف الامر بشكل مغاير .. ورأى ان من حق العالم ان يخبر حقيقة موت الكاتب الكبير. وخسرت ماري الدعوة . وها هو ضوء يبدد ضباب تلك النهاية الفاجعة .)

***

كان الوقت صباح يوم احد ، ٢٣ نيسان ١٩٦١ ، وانا في منزلي في نيويورك ، عندما طلبت مني ماري همنغواي عبر التليفون ان احضر حالا . وقالت بصوت مضطرب مقطع :

ـ ارنست في المستشفى .. ابرة كل ثلاث ساعات .. ادوية مهدئة .

ثم روت لي عندما وصلت :

ـ صباحا .. حين هبطت درج الطابق العلوي ، شاهدت ارنست في الحديقة وهو يمسك بندقيته بيده اليمنى ، وباليسرى طلقتين . رآني ، فاتجهت نحوه ببطء . وهنا وقع نظري على ورقة صغيرة على مسند البندقية . كانت تحمل اسمي . واذ اقتربت تناولها ارنست . اردت ان التقط الورقة ، لكنه لم يشأ ان يسلمني اياها .. حينئذ حاولت ان الهيه حتى يصل الدكتور سافيرس . انه يأتي كل يوم لقياس ضغط دم ارنست ، وكنت اعلم ان موعده قد اقترب .

ـ كيف كان تصرفه معك ؟

ـ كان هادئا كليا . انه لم يترك البندقية من يده ، لكنه لم يعبىء المخزن . وقد رأيت انه من الافضل الا افوه بكلمة عن البندقية ، وان ادعه يتحدث . لقد قلت له، اذا لم يشأ ان يعطيني الورقة ، فعليه ان يقرأها لي . لقد كانت تحمل اسمي ، ومن حقي ان اطلع على ما جاء فيها .. اخيرا فتحها وتلا علي بضع جمل منها . كانت تدور حول وصيته، وانني لست بحاجة للقلق ، وانهُ قد اهتم بي ، وانه قد نقل الى حسابي مبلغ ٣٠ الف دولار ... ثم وصل الدكتور سافيرس ، واذ تناهى الى سمعي صوت سيارته ذعرت للحظة مرة أخرى .. ربما الان ! كان لا يزال يمسك بالبندقية وبالطلقات ، فكيف بوسع المرء ان يدري ؟ لكن الدكتور دخل .. فتحدث اليه ، واخذ البندقية منه .

سألت ماري :

ـ هل كان لديك اي احساس ، بان ارنست كان يفكر بشيء كهذا ؟

ـ كلا . لكنك تعلم انه غالبا ما تحدث عن ذلك . ان يطلق على

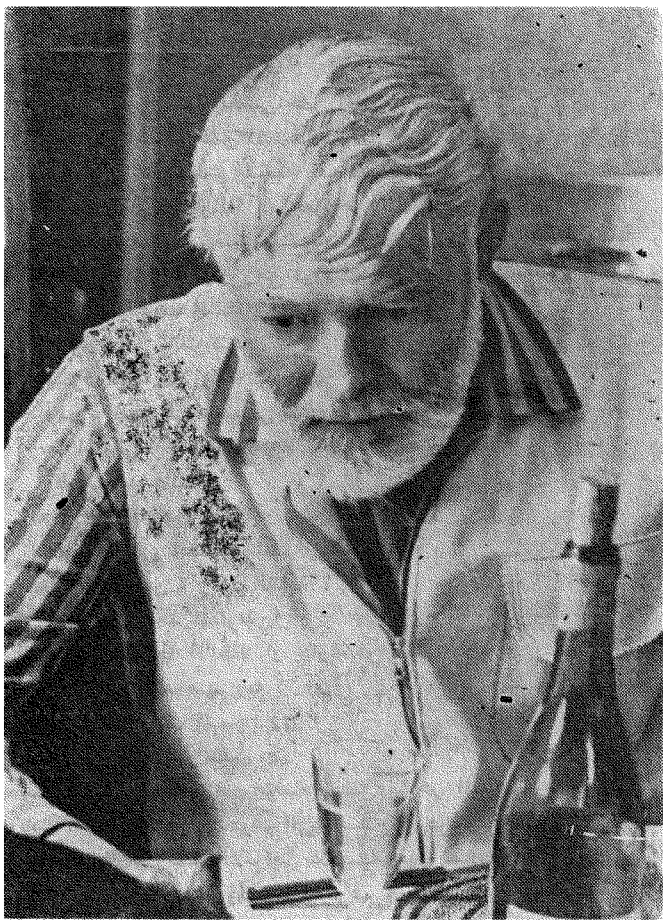

لن تقرع الاجراس .. همنغواي في اخر ايامه .
ما من رغبة بعد في الطعام .. ما من متعة بعد في الشراب .
ما من قوة بعد للحب .. ما من كلمات بعد لكتاب
ما من تسلية بعد في الحياة !!

***

نفسه النار وينهي كل شيء . لكنني كنت أظن دائما انه يقول ذلك لينفس عن نفسه ، فقد كان اليأس يسيطر عليه . لا .. مع هذا .. لم اكن لافكر بان .. !

وعصر ذلك اليوم ، تحدثت مع الدكتور جيورج سافيرس . وجيورج طبيب القرية في كينشوم . قرية صغيرة بالقرب من مدينة سان فالي ، كان همنغواي قد استقر فيها ، بعد ان فقد ممتلكاته الجميلة في كوبا . وفي كينشوم هذه ، كنا قد تعلمنا ان نأخذ دلائل الانهيار على ارنست مأخذ الجد . التوعكات ، ونوبات اليأس ، والامراض النفسية المتسلطة. وساعدنا جيورج ، الذي لم يكن طبيبا له فحسب ، وانما صديقا ايضا ، على اقناع ارنست بدخول مستشفى مايو في ولاية مينيسوتا . وبالفعل، سجل الكاتب نفسه في مستشفى مايو ، باسم صديقه جيورج سافيرس

تجنبا للضجة .. وقضى فيها فترة من الزمن ... ثم عاد بابا ـ كما كان الجميع يدعونه ـ من المستشفى الذي يعتبر أفضل مستشفيات العالم ، الى بيته سعيدا .. واستعاد رغبته في الكتابة وفي الشراب وفي الصيد ، وبشكل عام رغبته في الحياة .

واستمر على هذه الحال طوال بضعة اسابيع ، حتى صباح يوم الاحد هذا ٢٣ نيسان . وكانت نصيحة الدكتور الوحيدة هي ان على ارنست ان يعالج مرة أخرى في مستشفى مايو . وفيما بعد أخبرني جيورج عبر الهاتف انه قد تحدث مع اطباء المستشفى ، وانهم اصروا على ان يأتي ارنست طوعا ، لكن همنغواي تمنع قائلا بحدة :

وامضينا الليل بكامله ، ونحن نتلفن دون انقطاع بين نيويورك وكيتشوم والمستشفى . لكن لم يكن بالامكان اقناع الاطباء بالمجيء الى كيتشوم ، ولم يحاولوا على استعداد للتخلي عن نظريتهم بان على المرضى ان يسلموا أنفسهم للمستشفى طواعية .

في اليوم التالي تلفنت لي ماري همنغواي، وكانت بالغة الاضطراب، وثمه كابوس يجثم على صدرها . لقد تمكن دكتور سافيرس من اقناع ارنست بان مستشفى مايو ، هو المكان الافضل بالنسبة له . واستقللت طائرة . لكن قبل الاقلاع بلحظات ، قال ارنست انه ما زال عليه ان يحضر بضع حاجيات من البيت . اجاب الدكتور أن ماري ستحضرها له . بيد ان ارنست اصر على ان يفعل ذلك بنفسه مؤكدا انه لن يطير دون حاجياته . عندئذ أذعن جيورج مرغما . لكنه باستلهام شعور خفي كان قد استدعى من قبل أحد جيران همنغواي ، دون اندرسون ، الذي يزن ١٠٠ كغ وطوله ١٨٨ سم .

وعاد الجميع الى البيت . اتجه ارنست نحو الباب يتبعه دون والممرضة وماري وجيورج . ثم فجأة القى بنفسه داخل المنزل واقفل الباب وراءه . جرى دون حول البيت فاكتشف همنغواي في المدخل الخلفي ، وهو يعبىء مخزن البندقية باصابع طائرة . القى بنفسه عليه ورماه أرضا .. ونشب صراع مرير من اجل البندقية ، اضطر الدكتور جيورج ان يشارك فيه .

ورقد همنغواي ثانية في مستشفى سان فالي تحت تاثير الادوية اكثر من اليوم الفائت .

وفي الصباح التالي . الخميس ٢٥ نيسان .. تلفنت لي ماري لتخبرني ان همنغواي اعلن من جديد قبوله دخول مستشفى مايو . وقد اقلعت به الطائرة نحو روشيستر وبرفقته جيورج ودون أندرسون . ولم تكن ماري لتتمكن من ضبط نفسها الا بجهد .. وقد وعدتني ان تدع سافيرس يتصل بي هاتفيا بعد عودته . واتصل بي جيورج بعد منتصف الليل .. وكما اعلمني ، كان قد اعطى همنغواي قبل الاقلاع مهدئا قويا ، لكن ما ان انخذت الطائرة مسارها ، حتى حاول ارنست بهجوم مفاجيء ، ان يفتح الباب ، ويلقي بنفسه خارجه . وبعد جهد نجح مرافقاه في ابعاده عن الباب .. واذ اعطاه جيورج ابرة قوية ، راح في غيبوبة.

ونتيجة عطل طارىء ، هبطت الطائرة في كاسبر . ولدى مغادرتها، قام همنغواي بمحاولة جديدة متجها نحو محرك الطائرة ، لكن دون اندرسون تمكن من امساكه في اللحظة المناسبة .. واستمر التصليح بضع ساعات ، اتخذ همنغواي خلالها مظهرا هادئا حتى اقلعت الطائرة. فتظاهر بالنوم خلال ساعة تقريبا ، غير انه فوق داكوتا ، حاول للمرة الثانية ان يقفز من الطائرة .

وكان اطباء مستشفى مايو بانتظاره في المطار . وقد ترك في نفوسهم انطباعا طيبا ، اذ حياهم كاصدقاء قدامى . ثم رافقوه من المطار الى المستشفى حيث وضع في قسم خاص تحت مراقبة مستمرة .. كان ذلك في اول ايار .

في آخر حزيران ، اعلمتني ماري ان الاطباء ارادوا اخراج ارنست من المستشفى ، بل انهم الحوا عليها بان تحضره الى البيت . فاستاجرت ماري سيارة ، وطار احد اصدقاء همنغواي ، جيورج برأون ، من نيويورك الى روشيستر ، لكي يقود السيارة المستاجرة. وخلال الرحلة التي دامت ثلاثة ايام بدا همنغواي منشرحا . وبدا من جديد يستشعر الغبطة . وفي الامسية الاولى في البيت ، احتفلت الاسرة بعودته ، واشترك ارنست مع ماري اذ غنت احدى اغانيه المفضلة .

في صباح اليوم التالي ، هكذا صرحت ماري همنغواي فيما بعد للصحفيين ، سمع في البيت صوت طلقة ، جرت ماري على اثرها . كان ارنست ينظف بندقيته ، هكذا قالت ، فخرجت منها طلقة لسوء الحظ، وقتلته .

لم استطع اساءة الظن في ماري لكذبتها الخرقاء . فلم تكن بالرغم من كل حوادث الاشهر الاخيرة المشؤومة ، مهيأة لما حدث . وهكذا لم يكن في مقدورها حينما طلب منها توضيح الامر أن تقول شيئا اخر . ماذا يعني قول الحقيقة في موقف كهذا ؟ هل تفعل الحقيقة اي عمل غير منجز ؟ هل تخفف الالم ؟ .. لقد تذكرت سؤالا ، كان صحفي الماني قد القاه على همنغواي في احدى المقابلات :

ـ سيد همنغواي .. ما هو شعورك تجاه الموت ؟

لقد اجاب ارنست : ان الموت ايضا لا يزيد عن كونه موسما .

وتذكرت محادثتي الاخيرة مع همنغواي في روشيستر .

كنا قد خرجنا من المستشفى بسيارة ، ننتزه في احدى الغابات المجاورة . اوقفنا السيارة ، وسرنا مسافة قصيرة عبر الغابة على درب انتهى بنا الى منطقة قليلة الاشجار اشرفت على مناظر طبيعية خلابة . كانت السماء صافية ، والعصافير تغرد في الهواء الطلق . لكن ما من شيء اثار انتباه همنغواي . وراح يعدد لي متاعبه .. شكوى بسبب فقره ، ثم اتهام ضد بنكه . محاميه . طبيبه . وضد كل من وثق به . قلت لنفسي : (دعه يفرغ من حديثه ! ربما ساعده ذلك بعض الشيء).

ولكن اذ رأيته يروح ويغدو ، عيناه مثبتتان على الارض ، ووجهه ملوي ، نما في نوع من الغضب ، واذ لم استطع ان اكبح نفسي اكثر من ذلك ، قطعت عليه طريقه، ارغمته على ان يرفع ناظريه ، وقلت :

ـ بابا ، انه الربيع !

صدرت الطبعة الممتازة من سلسلة روايات :

تاريخ العرب والاسلام

بقلم المؤرخ : جرجي زيدان

الثمن : ق.ل

١ ـ فتاة غسان (جزءان في كتاب واحد)

٢ ـ ارمانوسة المصرية ٤٠٠

٣ ـ عذراء قريش ٤٠٠

٤ ـ ١٧ رمضان ٤٠٠

٥ ـ غادة كربلاء ٤٠٠

بقية الروايات تصدر تباعا

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت

واذ تطلع الي بنظرة فارغة، بدت عيناه خلف النظارة، وقد صدئتا.

ـ لقد فاتنا اليوم سباق الخيل . (قلت محاولا جذبه الى عالمي واعادته الى الواقع .. ثم كررت) لقد فاتنا سباق الخيل بابا .

فارتعشت عيناه ، وادخل يده في جيوبه :

ـ وسوف نفوته ، سنفوته ، سنفونه .

وسقط صوتي على كلماته :

ـ لماذا ؟ .. لم لا في الخريف المقبل (وتعلقت بالذكريات الجميلة) ربما استطاع حصاننا ان يجري بشكل جيد على اوراق الخريف .

ـ لن يوجد ربيع بعد يا هونش .

ـ واذن . ! انني اضمن لك ...

ـ ولا خريف بعد .. ايضا .

واسترخى جسمه . اتجه نحو بقايا حائط مهدم وجلس عليه . انتصبت امامه ، واحسست ان اللحظة ملائمة لان اصل الى الموضوع . لقد قلتها بلطف بالغ .

ـ بابا ! لماذا تبغي ان تقتل نفسك ؟!

ولم يتردد سوى لحظة ، ثم قال بطريقته القديمة التأملية :

ـ ماذا نظن يحدث لرجل يقترب من الثانية والستين . عندما يتيقن أنه ليس بوسعه بعد ان يكتب الكتب والقصص التي وعد نفسه بها . ان ليس بوسعه بعد ان ينجز اي امر من كل ما تعهد به على نفسه في الايام الطيبة ؟

ـ لماذا لا تعتزل الكتابة ببساطة ! ان الله يعلم انك تستحق ذلك.

ـ وماذا سافعل ؟

ـ كل ما تهوى . وكل ما يسليك . لقد تحدثت مرة عن قارب وجب ان يكون كبيرا بشكل كاف ، بحيث يكون في مقدورك ان تجدف به حول العالم ، لكي تصيد في كل المياه التي لم تجربها بعد . ماذا جرى لذلك؟ ومشروعك في كينيا ؟ لقد تحدثت عن صيد النمور في الهند ، ومرة تحدثنا عن مشروع تربية ثيران . ان هناك امورا كثيرة كما ترى .

ـ اعتزل ؟ الى الشيطان . ! كيف يستطيع كاتب ان يعتزل ؟ لديك بضعة كتب في الخزانة .

ـ بالتأكيد . لدي ستة كتب استطيع ان اقف عليها . ولكن بعكس لاعب البيسبول او الماتادور كيف يعتزل الكاتب ؟ حيثما يذهب يسمع نفس السؤال اللعين . ماذا تكتب في الوقت الحاظر ؟

ـ من يهتم بهذه الاسئلة ! انك لم تهتم قط بهذه المقاييس الخاطئة . لماذا لا ندعنا نساعدك ؟ ان ماري ستذهب حيثما تشاء انت. وستفعل كل ما تريد . لا تبعدها . ان هذا يؤلمها .

ـ ان ماري رائعة . لقد كانت دائما رائعة وما زالت . كانت باسلة وطيبة بشكل لعين . انها كل شيء ، انني احبها . احبها فعلا .

وجعلت الدموع التي تصاعدت ، من المستحيل متابعة الحديث ، وتطلع الي ارنست :

ـ هل تتذكر ؟ لقد قلت لك مرة انها لا تدري عندما يؤلم الامر الاخرين . لقد كنت مخطئا . انها تعلم كيف يؤلمني الامر . وهي تعاني اذ تحاول معاونتي . اني اتمنى وحق الله لو استطيع توفير ذلك عليها. اسمع هونش ! مهما حدث .. انها طيبة وصلبة . لكن لا تنس ان افوى النساء يحتجن الى عون .

لم استطع اكثر من ذلك . وابتعدت بضع خطوات . لحق بي ووضع يده على كتفي ، وقال :

ـ ايها العجوز المسكين ! ان الامر يؤسفني بشكل لعين .

وهزت الرجل العجوز ، المرهف ، الودود ، رعشة عنيفة . استبقى للحظة يده امام عينيه ، وسار ببطء نحو السيارة . ولم نتحدث طوال الرحلة الى المستشفى اية كلمة . وامضيت معه في غرفته بضع ساعات. كان لطيفا ، لكنه كان مبتعدا . تحدثنا عن الكتب والرياضة ، ولم نتطرق بعد الى الامور الشخصية . وفي اخر النهار ، عدت الى مينابوليس ، ولم اره قط ثانية .

ترجمة : ابراهيم وطفي

صدر حديثا :

شلال الأسود

مجموعة من المقالات الوطنية والادبية

بقلم الاديب المغربي الاستاذ محمد الصباغ

ـ وهي مجموعة رائعة من الصور والاحاسيس الأدبية والوطنية سجل فيها المؤلف فترة من امجد فترات الكفاح المغربي في سبيل الاستقلال والكرامة ، وكانت كتاباته هذه كثيرا ما تطل على مواطنيه في ايام الكفاح العصيبة ، فتضيف الى اندفاعهم وكفاحهم وصمودهم وقودا جديدة وتستثير فيهم همم الاسود الكاسرة فينطلقون كالشلال الهادر مطالبين بحقهم في العيش بعزة وكرامة متبوئين مكانهم المرموق بين الشعوب الحرة المناضلة .

ـ وفي رسالة للمؤلف من الاديب الكبير ميخائيل نعيمة يقول : « فشلال الاسود » ليس بالصور الفاترة التي يمر بها القارىء مرور الكرام ، بل ان فيها ما يهمز الفكر والخيال همزا ، ويدغدغ العاطفة الشعرية والقومية ...

ـ وللمؤلف عدة دواوين مطبوعة ترجم بعضها الى الاسبانية ، وقد ساهم بانتاجه الادبي في العديد من المجلات العربية والاسبانية ومجلات اميركا اللاتينية .

منشورات

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

بيروت ـ القاهرة ـ بغداد